هجم التتار

هجم التتار
ورموا مدينتنا العريقة بالدمار
رجعت كتائبنا ممزقة .. وقد حَمِيَ النهار
الراية السوداء والجرحى وقافلة موات
والطبلة الجوفاء والخطو الذليل بلا التفات
وأكفّ جنديّ تدق على الخشب
لحن السغب
والبوق ينسل في انبهار
والأرض حارقة كأن النار في قرص تُدار
والأفق مختنق الغبار
وهناك مركبة محطمة تدور على الطريق
والخيل تنظر في انكسار
الأنف تهمل في انكسار
والعين تدمع في انكسار
والأذن يلسعها الغبار
والجند ايديهم مدلاّة الى قرب القدم
قمصانهم محنية مصبوغة بنثار دم .

★

والأمهات هربن خلف الربوة الدكناء من هول الحريق
او هول انقاض الشقوق
او نظرة التتر المحملقة الكريهة في الوجوه
او كفهم تمتد نحو اللحم في نهم كريه
زحف الدمار والانكسار
وا بلدتي !زحف التتار.

★

... في معزل الأسرى البعيد
الليل والأسلاك والحرس المدجج بالجديد
والظلمة البلهاء ، والجرحى ورائحة الصديد
... ومزاج مخمورين من جند التتار
يتلمظون الانتصار
ونهاية السفر السعيد
وانا اعتنقت هزيمتي ورميت رجلي في الرمال
وذكرت – يا أمي – أماسينا المنعّمة الطوال
وبكيت ملء العين يا أمي ، لذكرى كالنسيم
وغمائم الكلم القديم.

★

أمي .. وانت بسفح ذاك التل بين الهاربين
والليل يعقد للصغار الرعب من تحت الجفون
والجوع والثوب الشفيف
والصُمُّ والسعلاة والظلماء تقعي في الكهوف
أترى بكيت لأن قريتنا حطام ... ؟
ولأن اياماً أثيرات تولت لن تعود ... ؟
أماه .. إنا لن نبيد
هذا بسمعي صاحب من اهل شارعنا العتيد
وسعال مهزوم قعيد
وفم يهمهم من بعيد ... بالوعيد
وانا – وكل رفاقنا – يا أم حين ذوى النهار
بالحقد أقسمنا سنهتف في الضحى
بدم التتار
اماه ؛ قولي للصغار
أيا صغار
سنجوس بين بيوتنا الدكناء ان طلع النهار
ونشيد ما هدم التتار .

القاهرة

صلاح الدين عبد الصبور